ضواطر

د. عمر الكبومة

ترانيم الخريف

ترانيم الخريف

د. عمر الكرمة

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكلٍ من الأشكال، أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونيةٍ أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغةٍ أخرى دون الحصول على موافقة المؤلّف والناشر مقدمًا.

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any way from or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the author and the editor.

- الكتاب: ترانيم الخريف
- المؤلف: د. عمر الكرمة
- نوع العمل: نصوص وخواطر
- مراجعة لغوية وتدقيق: الأستاذ عبد الباسط الحرشي
- الطبعة الأولى: 1446 هجري - 2025 ميلادي، المغرب
- رقم الإيداع: 2025MO4225
- الترقيم الدولي: 978-9920-24-328-5

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار أو أحداث أو آراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

جميعُ الحقُوقِ محفوظَة

إهداء

إلى فلسطين من بحرِها إلى نهرِها،

إلى غزة وبيتِ المقدس ويافا وبيت لحم...

إلى أهلها وسمائها وأرضها وورودها وهوائها...

إلى كل من هو فلسطينيُّ الهوى!

أهديكم هذا الكتاب من صميمِ قلبي...

مقدمة

وأنت تتصفحُ هذا الكتاب وتقرؤه عزيزي القارئ،

لا بد أن أوصيك بشدِّ حزام سلامتِك جيدًا،

لأن الحنين سيعود بك إلى هاتيك الذكرياتِ الرّقراقة من زمن الطُّفولة

الجميل،

ذاك الزمن الذي ولّى ولن يعود!

لكن تباريحَ الشَّوق إليه ستظلُّ في فؤادِ كل مكلوم!

عند هبوبِ الرياح

واهتزازِ الأغصان

1

ما نسيتُ يومًا
تلك الذّكريات الجميلة من أيّام الطُّفولة
حين كانت توقظني أمّي
على صوت التلفاز وهو يترنَّم
بأعذبِ تراتيل آيِ القرآن
وعلى رائحة إبريق الشّاي الزكية
وقليلٍ من الخبز السّاخن
وزيت الزيتون الطري!

2

تُحدثني عن الفخر يا أُخَي
أحدثك عن صوت آذان الفجر
في عتمةِ الليل
وأنت تخطو نحو المسجد
لتحضر صلاةً
يشهد قرآنَها الملائكة

3

تمتماتُ أمّهاتنا لنا
عقب كل صلاةٍ
دعواتٌ حفظتنا من
مكاره لا يتصوّرها عقلُ إنسان!

4

تسألني عن الأمان يا صاحبي
فأردُّ عليك واثقًا
بأنه صوتُ أبي في أرجاء المنزل!

5

عندما تُوفي والدي
أحسستُ بشيءٍ انكسر داخلي
ظننته مجرد شعورٍ عابرٍ بالحزن
لكنه كان صدى هشيمِ قلبي!

6

لا تحدِّثني عن الهلَع
وأنت لم تجرِّب شعور
أن يرِنَّ عليك جرس المدرسة
وأنت مازلت عند بابِ بيتكم!

7

تسألني عن أرقى
أنواع اللُّطف والإحسان
أحدِّثك عن رسولٍ ﷺ
واسى طفلًا
في مُصاب فقدِ طائره!

8

كنت أعرف
عن مدى وطأة الفراق
وصعوبته
لكني ما تذوّقت مرارته
إلا بعدما ابتعدتُ عن أمّي!

9

بعضُ الكلمات
تقع على الجرحِ الغائر
فتجعله يندمِل
وبعضُها الآخر
يهوي على الخواطر
فتُرديها مكلومةً مكسورة
طريحةً لا لملمة لشتاتها!

10

وإذا سألوك يومًا
عن أطهر العرَق
فأجِبهم بأنه هو ذاك
الذي يسيل على جبينِ الآباء
من أجل أن يأتوا بلُقمة العيشِ لأولادهم

11

يقول قائل:
منذ أن تركت
صلاة الصُّبح في ميقاتها
وأنا لست على
خير ما يُرام

12

أمُّك يا صديقي
ما بها؟
لا تُقصِّر في إرضائها
والباقي تعوِّضه الأيام!

13

لا تحزن على مُرِّها
ما هي؟
الدُّنيا يا صاحبي
تُحسِن إليك يومًا
وتسوءك أيامًا!

14

تسألني عن السّعادة
أحدثك عن رائحة
الشّاي الذي تعدُّه أمّي
وهي تتجول
في أرجاءِ المنزل!

15

تحدِّثني عن الشّجن يا صاحبي
وأنت لم تعِش شعور
أن تمشي في جنازة أبيك
وأنت مازِلت طفلًا
قاصرًا غير مكلَّف!

16

لن أنسَ أبدًا ذاك
الوقت العصيب الذي مررتُ به
عندما كانت أمّي داخل غرفةِ العمليات
كانت تخضع للجراحةِ داخلها
وأنا من كنت أتألّم خارجها!

17

على قدرِ طهارةِ قلبك
وأصالةِ معدنك
وحبِّك الخير للناس
يرزقك ويعطيك ربُّ الناس

18

قليلٌ من الشّاي الدافئ
على إطلالة بحرٍ هادئ
وكتابٍ أتبحَّر بين صفحاته
وعلى الدُّنيا السّلام!

19

ما نسيتها يومًا
ولا أظنني سأنساها أبدًا
تسألني ما هي؟
كلماتٌ تمتم بها
أحد أقربائي
حين وفاته!

20

وفقك الله
للمداومة على طاعةٍ
غفل عنها الكثيرُ غيرك
لا تجاهِر بها أبدًا
ولا تسألني لماذا!

21

إذا أردت أن تعلم قدر
بِرِّ أبنائِك بك مستقبلًا
فانظر إلى برك بوالديك
فإن الجزاء حقًّا
سيكون من جنسِ العمل!

22

تكبيراتُ العيد
ونحن نسرع الخطى
نحو المسجدِ لأداء الصّلاة
من أجملِ لحظات الحياة

23

لن أنسَ ذلك اليوم الذي أطرى
فيه معلّمي لُغتي العربية
قد تكون مجرّد كلماتٍ
عابرة بالنسبة له
لكنها كانت وميضَ النّور
في عُمق الظّلام الدامس
بالنسبة لي!

24

قبل عشراتِ السِّنين
من يومِنا هذا
كنا نرجع من مدارسنا
جريًا إلى منازلنا
حتى نشاهد كرتوننا المفضَّل
على قناة سبيستون

25

بوّابُ ابتدائيَّتِنا
كان رجلًا صالحًا
نضرِب به المثل بيننا
في كسب الرِّزق الحلال

26

أهل صلاةِ الفجر وقرآنها
ركعاتُها وحتى
نسماتُ عبيرها ليست
كغيرها من الصّلوات
الأخرى على الإطلاق!

27

قطراتُ المطر وهي
تتخلل شعيراتِ رأسِك
حين عودتك من المسجد
بعد صلاة الفجر شعور
لم يحظ بشرفه عامّة الناس!

28

دعواتُ أمّك لك
وأنت تُقبِّل رأسها متجهًا
إلى العمل صباحًا من
أطيبِ ما تسمعه في حياتك!

29

تسألني عن أجمل ما أحب!
أردُّ عليك قائلًا:
أن أخفّف عن مرضايَ ألمهم
وأكون سببًا في شِفائهم

30

لن أنسَ ذاك
المريض الذي كان
يتردَّدُ عليَّ في عيادتي
حين خاطبني ذات يومٍ قائلًا:
"دكتور؛ صِرتَ الآن فردًا من العائلة!"

31

تسألني عن أجملِ اللَّحظات
التي عِشناها في طفولتنا
أحدِّثك عن حالنا داخل القِسم
ونحن نتسابق لرفع أيدينا
حتى نفوز بشرف القراءة
على مسامع المعلّم!

32

نصائحُ والديك وإرشاداتهم
هي كالنجوم في السّماء
تهتدي بها إلى
طريقك حال ضياعك

33

كلما طاوعتك نفسُك على
انتهاك حُرمةٍ من حرمات دينك
فأذقها من لهيب عود الثّقاب وقُل:
"يا نفسُ إن لم تصبري على
نارِ الدنيا فكيف بنارِ الآخرة!"

34

إذا حِرت في دُنياك
ولم تنفعك استشارةُ البشر
فلا تتردد أبدًا في
استخارةِ ربِّ البشر!

35

لا تبخل على نفسك
بتلك الرُّكَيعاتِ التي
تختلي فيها بربِّك ليلًا
وغيرك في سُباتٍ عميق!

36

تسألني عن الحنان يا أُخَيّ
أحدثك عن صدى صوتِ
خطوات أمّي ليلًا وهي
قادمةٌ لتتفقد حالي!

37

صوتُ مؤذّن مسجد حيِّنا
وهو يتغنّى بمفرداتِ الآذان
يجعلك تُلبّي النداء
دون أن تُدرك ذلك
حتى تجد نفسَك
أمام بابِ المسجد!

38

أبناءُ حيِّنا الذين
كنا نقضي معهم
أجمل الأوقاتِ ونحن نلعب
بين الأزقة وعلى الطرقاتِ
كل منهم مضى في حالِ سبيله
وصار أحدنا لا يدري
شيئًا عن صاحبه!

39

لا تحزن
وإن اشتدّ ضيقها
وادلهمَّت أرجاؤها
فكن على يقينٍ أنه
لابد لها من انفراج!

40

لا تفقد الأمل أبدًا
فإذا كنت تقاسي شدَّة المرض
فتذكر أنك عبد الشّافي
وإذا كنت تعاني من قلَّة الحيلة
فلك ربٌّ وصف نفسه بالرزّاق
وإذا كنت مكسور الخاطر مكلومَه
فربُّك هو الجبّار!

41

ستنفرج يا صاحبي
كن على يقينٍ بذلك
وما يُدريك؟
ما اشتدّت عليَّ يومًا
ثم رفعتُ يدي أشتكي لربي
إلا ورزقني فرجًا ممّا ضاق بي!

42

ما أجملها!
وما هي؟
خيوطُ الشّمس التي
تتسلل إلى غرفتي
عبر نافذتها عند إشراقة
شمسِ كل صباح

43

إذا فعلت خيرًا فافعله
لوجه الله لا لوجه العبد
فما عند الله يبقى لا زوال له
وما عند العبد يتقلَّب
كتقلُّبِ الليلِ والنهار!

44

فاستجبنا له!
لزكريا بعد طول غيابِ الولد
ولأيوب بعد شدة المرض
وليونُس في عزِّ الظُّلمات الثلاث
فلا تقنط من رحمات ربك
فمعه دائمًا هناك أمل!

45

تسألني عن أرقى مظاهر
العطف والرحمة
أحدِّثك عن رسول ﷺ
شجَّ قومُه وجهَه
وكسروا رباعيّته
فدعا لهم قائلًا:
"ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"

46

خشونةُ يدِ أبي
كانت أكبر دليلٍ
على ما يطعِمنا
من رزقٍ حلال!

47

تلك الدّنانير التي كانت
تعقِدُ جدّتي يدي عليها في خفيةٍ
من أجمل ما رأيته
من حبٍّ وتضحية!

48

وما أشدّ يومٍ مرَّ
على البشرية سوادًا يا صاحبي؟
هو اليوم الذي ارتقى
فيه الرسول ﷺ
إلى الرفيق الأعلى!

49

تسألني عن أشرفِ
الناس خَلقًا وخلُقًا
أحدثك عن نبيٍّ
أُرسِل رحمةً للعالمين ﷺ

50

زقزقاتُ العصافير
في الصّباح الباكر
على حافة شُرفة المنزل
ترانيمٌ لا يختلف على
حبِّها عاقلان!

عند تساقطِ أوراق الشجر

51

أترى تلك النُّجوم يا رفيقي
ما بها؟
كان الناس قديمًا
يهتدون بها في طرُقاتهم
وكذلك بعضُ البشر
إذا ضللت السّبيل
تهتدي بهم!

52

تسألني عن التضحية
أحدثك عن أمّي
حين كانت تدَّعي الشَّبع
حتى نأكل نحن
ملء بطوننا!

53

لا تقنط من
رحمةِ ربك يا صاحبي
وكم هو رحيمٌ بعباده؟
أرحم بالولدِ حتى من أمّه!

54

ساعةُ الغروب
حين تبسط الشّمس
خيوطَها الذهبية
وتتوارى شيئًا فشيئًا
من أجملِ اللّحظات التي
يمكن للمرءِ أن يعيشها!

55

أراك تسعى دائمًا وحيدًا
في حالِ سبيلك يا صاحبي!
وما أدراك بأنّي وحيد؟
ومن قد يكون معك؟
إنّ معي ربي!
المعيّةُ الوحيدة التي لا تُخيِّب صاحبها

56

أن تكون صَديقي يعني
أن نفرح معًا ونحزن معًا
نقوم معًا ونسقط معًا
أن تأخُذ بيدي كما أفعل
في الشدَّة والرَّخاء
ساعة اليُسر وساعة العُسر!

57

حقيرةٌ هي يا صاحبي!
ما هي؟
الدُّنيا!
تلك التي لا تعدل
عند ربنا حتى جناحَ بعوضة

58

قصيرٌ هو العمر
سريعة الذهاب أيامهُ
حتى نمضيها في
الكراهية والحقد والبغضاء...

59

صعبٌ هو الفِراق الذي لا لقاء بعده
شديدٌ وقعُه على المرء!
وما أدراك بذلك؟
لا تسأل شخصًا تُوُفِّي
والدُه وهو في أيّام صِباه!

60

إذا شاورتَ أمُّك في أمرٍ ما
وأخبرتك بما ارتأتهُ
عن صوتٍ يصدر من أعماقِ قلبها
فخُذ بنصيحتها
ولا تسألني لماذا!

61

كل انحناءٍ هو مذلة
إلا أن تحني جبهتك
وتضعها على الترابِ
سجودًا لله
فذاك هو الانحناء
الوحيد الذي يرفعك

62

ما نسيتها ولن أنساها يومًا!
من هي يا صاحبي؟
تلك السيدة عند باب محطةِ القطار
مددتُ لها بعض القطع النقدية
فأبت أخذها إلا إن أخذت
مقابلها مناديلَ كانت تبيعها!

63

عجيبٌ أمرها هذه الدنيا
تجذبك نحو ملذاتها
وطيِّباتها وشهواتها
حتى إذا ما حللتَ عندها
وجدتها سرابًا لا أصل له!

64

وكم من مرةٍ اشتدّت عليَّ دُنياي
حتى ظننتُ أن لا انفراج لها
فما ارتاحَ خاطري إلا بعدما
تذكّرتُ أنّي وإن هجرني
من ادّعى قُربي من الناس
فإني بمعيّة ربِّ أولئك الناس!

65

صاحب الدُّكان المجاور
لابتدائيّتنا كان رجلًا
طاعنًا في السنِّ لكنه
لم يتوقف يومًا عن الكسب
الشّريف من عرق جبينه!

66

وإن حدَّثتك نفسُك
يومًا بالكبر والخيلاء
فذكرها بأن مآلها إلى
جيفةٍ قذرةٍ يأكلها الدّود!

67

لا أدري لماذا يحتفل الناس
كل سنةٍ بمرور عامٍ على مولدهم؟
في حين أنهم اقتربوا عامًا آخر من حتفهم!

68

وكم كان ينال مني
الفرح في صِغري وأنا
أجمع العيديّات من أفراد عائلتي!
مرَّ الزمان وصرتُ أنا
ممّن يهدونها لصبيان العائلة!

69

أن تصارع النّوم
وتخلع غطاءك الدافئ عنك
وتترك فراشك ملبيًا
نداءَ صلاةٍ يغيبُ
عنها المنافقون هو خيرٌ لا
يُدركه الكثير من الناس!

70

أن يصطفيك ربُّك
فيرزقك صُحبة القرآن
تتلو وِردك منه كل يومٍ
هي النِّعمة التي قد لا
تتصور عِظمها يا صاحبي!

71

تلك الآيات التي تقع على
مسامعك حين صلاةِ الجماعة
فتشعر أنك المقصود بها
هي ليست بالصُّدفة أبدًا
بل هي رسالةٌ من الله لك!

72

ذاك الوفدُ الذي قدم
إلى مكة خمس ليالٍ
بعد وفاة النبي ﷺ
يا تُرى كيف كان شُعورهم؟
تأخُّر خمسِ ليالٍ كانت
كافيةً ليُحرموا شرفَ الصُّحبة!

73

في صِغري لطالما تمنّيت
أن أكون طيرًا يُحلّق عاليًا
في واسع الفضاء
ويغوص في غيوم السماء!

74

لطالما تساءلتُ عن شعورِ
عليٍّ ابن أبي طالب رضي الله عنه
لما خاطبه النبيُّ ﷺ قائلًا:
"يا عليّ،
أنت منّي بمنزلةِ هارونَ من موسى"

75

كان أبي دائمًا يزرعُ
فينا أدبَ تقدير النِّعم
حتى كِسرة الخبز التي كنّا
لا نُلقي لها بالًا في صِغرنا!
حين كبرنا وواجهنا تباريحَ الحياة
أدركنا تمامًا حقّية كلامه!

76

أولُ ما كان يسألنيه أبي
حين رجوعه إلى البيت:
"هل أدّيتَ صلاتك؟"
كبرنا وأدركنا فعلًا
شأنَ هذا السُّؤال!

77

كان مثالًا يُحتذى به
وقدوةً يُضرب بها
المثل في التديُّن
حتى ردَّ الفضل لنفسه
فصار عبرةً يعتبر بها الناس!

78

أولئك الصحابةُ الذين
بشّرهم الرسول ﷺ بالجنّة
يا تُرى؛
كيف ناموا تلك الليلة؟
وهل ناموا أصلًا؟

79

فلسطين!
كل شيءٍ فيها مختلفٌ عن البقية
أهلها، سماؤها، ترابها، أشجارها...
حتى هواؤها!

80

بمَ توصيني يا صاحبي؟
ما أوصي به نفسي دائمًا
حذارِ أن يرفع مظلومٌ يديه
ويشتكيك إلى أعدلِ العادلين!

81

كل انحناءٍ هو مذلّة
إلا أن تحني جبهتك
وتضعها على التراب
سجودًا لله
فذاك هو الانحناء
الوحيدُ الذي يرفعك

82

عُكّاز جدّي الذي كان
يتّكئُ عليه ويتخذه سندًا
له في خُطاه إلى المسجد
مازال يذكرني بطيف خياله
كلما أمعنتُ النظر فيه جيدًا!

83

وما أجمل أيام دراستنا
في الجامعة حيث كنا
نقاوم الصِّعابَ والمشقّات
التي تتوالى الواحدةَ تلو الأخرى
من أجل فرحةِ النجاح التي
تغمرُ قلوبنا في آخر المطاف!

84

أحيانًا ما ذرفتُ الدموع وأنا
أقرأ في كتبِ التاريخ عن
الحضارات الإسلامية التي بادت
بعد أن رادت وسادت زمانها
وكيف لا وقد بُلينا بالانحطاط
بعد الريادةِ والعلو!

85

حقَّ له أن يبكي!
ومن هو يا صاحبي؟
ذاك الجذعُ الذي هجره
الرسولُ ﷺ بعد أن اتخذ له
منبرًا يخطبُ في الناس عليه!

86

أن تتذوق حلاوةَ الإيمان يا أُخيّ
فيقع في قلبك كما تقع قطراتُ
الماء الباردِ في الحلقِ الجاف
من الظمأ نعمةٌ لم يُحيِّزها
ربُّك لكافة الناس!

87

رائحةُ الكعكةِ الزكيّة التي
كانت تعدها أمّي في صغرنا
عند نهايةِ كل أسبوعٍ لم تفارق
ذاكرتي يومًا ولن تفارقها!

88

ذاك الحليبُ السّاخن الذي
كانت تُحضِّره لي أمّي كل
صباحٍ حين ذهابي للمدرسة
مازلتُ لم أتذوق نظيرًا له
ولا حتى ما يقربُه لذةً ليومنا هذا!

89

هو ضربٌ من ضروبِ
المُحال يا صاحبي!
وما هو؟
أن ترد معروف أمّك لك وإحسانها
الذي غمرتكَ به طوال حياتها!

90

مازلتُ أعجبُ من أولئك الذين
يبيعون أُخراهم بدُنياهم يا صاحبي!
وكيف ذلك؟
يُهمِلون عباداتهم ويلتهون
بأمور دُنياهم وكأنهم مُخلَّدون
على وجهِ هذه الخليقة!

91

وما أصعبَ الفراق
وما أشدَّ وطأته على النفوس
لا سيما إن كان
فراقًا لا لقاء بعده!

92

دعونا نعُد ببعضٍ من ذكرياتنا
إلى ليالي العيد حيث
كان لا يهدأ لنا بالٌ إلا
إذا نِمنا جنب ملابسنا
وأحذيتنا الجديدة!

93

اشتقنا لأيامِ المرحلة
الجامعية حيث كنا نجتمع
على طاولةٍ واحدةٍ على اختلاف
تخصُّصاتنا وشُعبنا
وأصولنا وحتى لهجاتنا!

94

في طفولتنا عندما كنّا
نسمع صدى صوتِ خُطوات
أبي على درجِ بيتنا
كان كلٌّ منا يلزم وقاره
فالوالدُ مقبلٌ علينا!

95

وددتُ يا سيدي يا رسول الله
لو أني ألقاك يومًا فأقبّل يديك
وأجالسكَ ولو لهنيهاتٍ معدودة
تخفّفُ عني شيئًا من لوعة
المحبِّ لمن يُحبّ!

96

كبرنا واكتشفنا أن أولئك
الأطفال الذين كانوا يتسلقون
الأسوار هربًا من المدرسة
ارتكبوا في حقِّ مستقبلهم
أبشع جُرمٍ يمكن ارتكابه!

97

تسألني من تُصاحب؟
أجبك بكل بساطة:
"لا تصاحب إلا صالحًا تستحي
أن تطال يدك معه حرمةً
من حرمات الله عزّ وجل!"

98

تسألني يا صديقي
عن أحبِّ المجالس إليّ؟
أجبك بكل بساطة:
"هي المجالسُ التي لا تخلو
من ذكر الله ورسوله!"

99

يا صاحبي
أتحبُّ أن يرفع الله عنك
البلاء أو يجنبك همًّا كنت لتقع فيه؟
عليك بالمضي في قضاء
حوائج الناس وفكِّ كربهم
ما استطعت إلى ذلك سبيلا!

100

من منا لم ينتعل حذاءَ
أبيه في طفولته
ساعته، نظاراته...
بل حتى ملابسَه ظنًّا منه
أنه صار رجلًا على قدر المسؤولية!

عند نسماتها

الباردة

101

قلَّما فزعتُ مثلما فعلتُ ذلك اليوم
حين كنت جالسًا بإحدى المقاهي
فإذا بخبر موتِ أحدهم يتفشّى على الألسُن
لكن الغريب في الأمر أنه لا أحد
ترحّم عليه أو على الأقل ذكره بخيرٍ!
بل الكلُّ اتفق على ذمامة ديدنهِ
وسوء أخلاقه!

اللهم إنا نسألك حُسن الخاتمة

102

وكيف تنسى همومك يا صاحبي؟
جولةٌ في أحضانِ الطّبيعة
تحت أغصان الشجر المورِقة
وبين أريجِ الأزهار المتورِّدة
وعلى مسامع تغاريد العصافير الرنّانة!

103

وكم نشتاقُ لأرواحٍ
وُرِيَت التُّراب ونهشتها
بناتُ الثّرى فلم نجد
إلا أن نرفع أكُفنا داعين لها
بالرحمات والمغفرة!

104

ظننت خِلاني بعدد
شُعيرات رأسي أو أكثر
حتى نزلت بي الشّدائد
فنظرتُ حولي لأكتشف
أني لستُ سوى رجلٍ أصلع!

105

تسألني عن أرقى مظاهر الحبِّ
أحدثك عن الرسول ﷺ حين اقترب
من معاذ بن جبل رضي الله عنه
مخاطبًا إياه:
"يا معاذ، والله إني أحبك"

106

"من فجع هذه بولدها؟
ردّوا ولدها إليها!"
قالها الرسول ﷺ مخاطبًا الصحابة
في "حُمَّرةٍ" أُبعِدت عن فراخها
أي رأفةٍ وأي رحمة!

107

"قُم فأعلِمه..."
خاطب بها الرسول ﷺ رجلًا
كتم محبتهُ لصاحبه!
إظهار المشاعر الطيّبةِ للغير
وصيّةٌ نبويّةٌ قبل أن يكون رُقيًّا!

108

يا لشدّة حُمقِ الأرنب والسلحفاة!
خاضا سباقًا لا نفع فيه لكلٍّ منهما
فلا فخر للأرنب في أن يسبق
أبطأ المخلوقاتِ ولا حكمة
في أن تنتظر السُّلحفاة الأرنبَ
حتى يغفو ليكون الفوز من نصيبها!

109

جميلةٌ هي تلك الأحاسيسُ
التي نبوح بها لمن نحبُّ
خلال لحظاتٍ تحفُّها
السّعادة والطُّمأنينة!

110

عجيبٌ أمر بُني آدم
يتذمّر على أقدار ربه
أينما حلَّ وارتحل
ولو كُشِف له السّتار
ليرى حُسن تدبير ربه لأموره
لانهمر الدمع من عينيه
كما ينهمر الماء من السّحاب!

111

وما أحبَّ تلك الفئة
من الناس إلى قلبي!
أولئك الذين يمشون بين
أقرانهم وهم ينثرون
شيئًا من أريجِ عبقهم
وكأنهم ورد الياسمين!

112

عندما تتلو القرآن وتردِّدُ
تعابيره، مفرداته وحروفه...
يتأتّى إليك شعورٌ بالسّكينة
لا تعرفه إلا في أحضان ذاك
الكتاب وبين طيّات صفحاته!

113

"أرِحنا بها يا بلال!"
كان ﷺ يهرعُ إلى الصلاةِ
كلما نزلت به ضائقةٌ
لتطمئنّ نفسه ويهدأ
روعها وهي بجوار ربها

114

في صِغرنا كان من
أرقى مظاهر الصَّداقة
أن يتقاسم أحدنا حلواه
مع صاحبه!

115

نسائمُ الخريفِ وشذاها
أوراقهُ المتساقطة بعد
أن ودَّعت أغصانًا
ترعرعت ونمَت عليها
من جميلِ ما يراه
المرءُ في حياته!

116

أن تقوم ليلك لله يا صاحبي
لا يعني أن تمضي الليل
كلَّه واقفًا تصلي!
بل تكفيك ركعتان فقط!
تحيي بها ليلك وتقوي
بها علاقتكَ بربِّك!

117

يا صاحبي
حدِّثني بشيء عن
الجنة يزيدني شوقًا إليها!
بكل بساطة:
"فيها الذي تتوق نفس
كل امرئ مسلمٍ لرؤيته!
فيها الحبيبُ المصطفى ﷺ"

118

"الذين هم عن صلاتهِم ساهون"
كنت ومازلتُ أحمد ربي ليومنا هذا
أن لم يجعل "في" مكان "عن"
وإلا لكنت من جملةِ الهالكين!

119

وتبقى المساجدُ أحبَّ
البقاع إلى قلبي حيث
تسكنُ الروح وتطمئنُّ وهي
بجوارِ بارئها وضيافته!

120

وما أعظم شيءٍ يناله
المرء في الجنة يا أُخَيّ؟
أن يحوز شرف رؤيةِ
وجه ربنا عزّ وجل!

121

وإن لم تستطع التجوال
والسَّفر حول العالم
فسافر بين صفحاتِ الكُتبِ
وطيّاتها وثناياها تجد
ضالتك وما ينفرج به فؤادك!

122

كل ما يتعلق بالأجدادِ
تجده مختلفًا عن البقية
مغايرًا لما دونه
رائحته، ملمسُه...
وكل شيءٍ متعلقٍ به!

123

وهل تخاف على رزقك يا صاحبي
ولك ربٌّ يرزق الطيور
فتغدو خِماصًا في بكورها
وتروح بطانًا في عشيِّها!

124

"غدًا ألقى الأحبة، الرسول وصحبه"
لطالما تساءلتُ عن مقدار
حبِّهم رضي الله عنهم للرسول ﷺ
حتى يفرحوا بموتهم رغبةً
وشوقًا في لقائه ورؤيته!

125

وكم وددت أن أختلي
بنفسي بعيدًا عن المدُن
وضجيجِها على رأس جبلٍ
لا يجاورني فيه إلا الطّبيعة
وأهازيجُها فأُلملِم تلك النفس
الطّريحة العصِيّ شتاتُها!

126

أنا لا أدري لم يتهافتُ بعض
الناس لدراسة كتب التنمية البشرية
رغبةً منهم في تعلم مسايرة مشكلات
حياتهم في حين أن لهم في
سيرةِ الرسول ﷺ ما يشفي الغليل!

127

صعبةٌ هي هذه الحياة
شاقةٌ دروبها عصيّةٌ منعرجاتُها
هي دار شقاءٍ لا دار بقاءٍ
والموعد الجنان التي
لا تعب فيها ولا نصَب
فقط روحٌ وريحان
وربٌّ راضٍ غير غضبان!

128

يا ترى؛
كيف كان حال المدينةِ المنورة
بعد أن فقدَت سيِّدها الذي
أضاء طرقاتها وأزقتها؟
كيف كان حالها بعد أن غادرها
ولم يترك إلا أريـجَ عطرهِ يتجول
بين بيوتها وشوارعها وأهلها؟

129

في بعض المواضِع يا صاحبي
يكون بعض التواضع مجلبةً للمذلةِ
يكفيك أن تطلق العنان لشيء
من نرجسيتكَ حتى يحترمك الآخرون!

130

مِن أشدِّ ما فطَر فؤادي عندما
قرأته هو قول فاطمة بنت
رسول الله للصحابة رضي الله عنهم
إبان دفن الحبيب ﷺ:
"أطابت أنفسكم أن تحثوا
الترابَ على رسول الله ﷺ؟!"

131

بعدما تُوفي أبي
ووورِيَ التُّرابَ أول
ما عانيتُ منه هو غدرُ
أولي القربى وقطع الرحم
وكأنهم لم يكونوا يومًا!

132

"وهل للموت من عُمر!"
عبارةٌ لطالما ردّدتها
في قرارة خاطري عندما
كنت أُصدَم بخبر وفاة الذين
كانوا حولي وهم في عُمر الزهور!

133

"إني رُزِقت حبَّها"
قالها الحبيبُ ﷺ في زوجته
خديجة رضي الله عنها!
إبداء مشاعر الحبِّ للزّوجات
هديٌ نبويٌّ لابدّ
للمرء أن يهتدي به!

134

يا صاحبي
لو كان لك أن تسأل أهل
القبورِ عن متمنياتهم
لأجابوك بأن أقصى
أمانيهم أن يرجعوا للدنيا
فيُصلّوا ويصوموا ويتصدّقوا...
ويبذلوا الخير ذات اليمين وذات الشِّمال!

135

وما هو أخيرُ للمرء من
أن يترك ذريةً صالحةً
على الأرض يستغفرون له
ويُغدقونه بالرَّحمات في قبره!

136

تسألني عن أبهى
مظاهر التواضع يا صاحبي!
أحدِّثك عن الحبيب ﷺ
يوم خُيِّر بين أن يكون
ملِكًا نبيًّا أم عبدًا رسولا
فاختار الرسالة والعبوديةَ لله

137

وما أحبَّ أولئك الناس لقلبي!
ومن هم يا صاحبي؟
الخِفاف على القلوب
اللّطاف على النفوس
لا مُثقِلون ولا مُستثقَلون!

138

وما هي أصعبُ اللّحظات
التي مررتَ بها يا صديقي؟
تلك التي كان يُوارى
أبي فيها الثّرى إبان جنازته!

139

وإن نزلت بأرضٍ لا تُعزُّ
فيها ولا تُقدَّر قدرك بين أهلها
فاعلم بأن أرضَ الله واسعةٌ
لمن أراد الهجرة وهو يبتغي
الكرامة وعِزة النّفس!

140

أنأكلُ الطّعام ونلبسُ الثياب
وبنو هاشمَ جوعى!"
قالها رجلٌ مُشركٌ بالله
حينما أخذته العِزةُ والأنفةُ
على قومهِ من بني هاشم وهم
محاصَرون في شِعب أبي طالب
دون طعامٍ أو شراب!

141

تلك الأيادي التي مُدَّت إليك
وأنت في عزِّ سقوطك
وربتت على كتفيك
وأنت تمرُّ بأشدِّ كبواتك
لا تفرِّط بها أبدًا فأولئك
عملةٌ نفيسةٌ في زمنٍ
كثر فيه الرخيص والزائف!

142

عندما كنا صغارًا لم نبلغ
الحُلم بعد كان آباؤنا يرغموننا
على النهوضِ باكرًا للذهاب للمدرسة
أو الكُتّاب رغم كراهيتنا لذلك!
كبرنا وأدركنا أن ذلك كان من
أصلحِ ما قاموا به تُجاهنا!

143

وما هي أحبُّ الأوقات
إليك يا صاحبي؟
لحظاتٌ أقضيها في تأمُّل
كلامِ الله وتدبُّر آيهِ ومعانيه
تُنسيك هموم الدنيا وتباريحَها!

144

عندما تتلو القرآنَ يا صاحبي
تحسُّ بأن مفرداته ليست
كباقي المفردات وبأن
تعابيرهُ ليست كباقي التعابير
التي تسري على لِسان البشر
وكيف لا وهو كلام ربِّ البشر!

145

وكم يشتاق المرءُ لأن يزور
المدينة المنورة ويتجولَ
في شوارعها وأزقتها
علَّه يصادف شيئًا من
أريجِ رسول الله ﷺ

146

تكفيني قبلةٌ على رأسها
أو يدها أو عناقٌ في حُضنها
حتى ينهدَّ ما بداخلي من
شجنٍ وتعبٍ وشِقاق!
تدرون من هي؟
هي أمّي!

147

جلسةٌ مع أمّي في
أحضانِ الطبيعة يتخلَّلها
بعض الشّاي والقهوة نتبادلُ
فيها أطراف الحديثِ
وعلى الدنيا السّلام!

148

وكلما ضاقت بي الدنيا
أهرعُ لأدق بابَ من لا
يردُّ محتاجًا جاءه طالبًا
راغبًا فيما عنده من
خيراتٍ ونِعم!

149

ما نسينانهم ولن ننساهم يومًا!
أولئك الذين مرّوا بنا ثم
رحلوا ولم يتركوا إلا
ذاك العبقَ الطيِّب الذي
لا تطوي الأيامُ أريجه!

150

وكم يحُزُّني الحنينُ إلى
أيام الصِّبى حين كنا نرتادُ
الكتاتيب القرآنية فنتدارسُ
آيَ القرآن ونتنافس في
حفظه وإتقانه!

خاتمة

وبين الحنينِ إلى ذكرياتها والشّوق إليها،

تبقى طفولتنا وما عِشناه خلالها من أحداث

مرحلةً مهمةً لا غنى عنها في تسلسلِ شريطِ أيّام عُمرنا!

جميعُ الحقُوقِ محفوظَة

د. عمر الكرمة

طبيب أسنان

مؤلف كتاب: "آية وهداية"

كاتب ومدون مغربي

وفي تلك الليلة الظّلماء، جلستُ متربعًا تلك البطحاء التي لايُرى ما بأفقها، نظرتُ متأملًا متدبرًا تلك القبّة السماوية البهيّة الجليّة، وما بها من دُررٍ متناثرة، أخّاذٍ بريقُها وهّاجٍ لمعانُها! فسرعان ما تأتى إلى قرارةِ خاطري ذاك التساؤل الذي مازال يقضُّ مضجعي ليومنا هذا! "إذا كان هذا ما نراه فقط هو عِظم النجوم والكواكب، فكيف بعظمة مُكوكبها؟"